

الإعجاز الغيبي (التاريخي)

من وجوه إعجاز القرآن الكريم إخباره عن الأمور الغيبية وتمزيقه لحواجز الزمن، وذلك برهان ساطع ودليل قاطع على أن هذا القرآن ليس من كلام بشر، إنما هو كلام علام الغيوب وتعريف هذا النوع : (وهو كل ما كان غائبا عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقومه مما لم يشهدوا حوادث الواقعة أو لم يحضر وقتها فلم يكونوا على علم بتفاصيلها في الغيب بهذا المعنى كل ما ورد في القرآن عن بداية نشأة الكون وما وقع منذ خلق آدم (عليه السلام) الى مبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من عظيمات الأمور ومهمات حوادث التاريخ , وكذلك يشمل ما غاب عنهم في وقته من الحوادث التي كانت تحدث وجاء الإخبار بها عن طريق الوحي كأخبار الله تعالى بما يكيد اليهود والمنافقون وما ينون من دسائس خبيثة كانت تقع أو كادت تقع حينذاك , ويشمل أيضا ما تضمنه من الإخبار عن أمور وحوادث ستقع في المستقبل)(^١).

ولكي يتجلى لنا بوضوح دلالة حديث القرآن عن المغيبات الماضية والمستقبلية على ربانية مصدره يجب اعتبار ما يلي :

- ١- كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يُشيع الحديث عن تلك المغيبات بين أعدائه الذين يتربصون به الدوائر، ينتظرون بحماس صدور أي كلام مناقض للحقيقة والواقع للتشيع عليه وتغيير الناس منه.
- ٢- أن القرآن يتحدث عن غيب الماضي وغيب المستقبل حديث الجازم المتأكد، وإذا بالواقع يوماً بعد يوم يكشف عن صدق كل ذلك.

القرآن والإخبار بالغيب

هذا هو العنوان الذي وضعه زعيم الحوزة العلمية السابق آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (قدس) عند حديثه عن الإخبار بالغيب , وانقله لكم بدون تصرف لما فيه من فائدة علمية كبيرة:

(أخبر القرآن الكريم في عدة من آياته عن أمور مهمة ، تتعلق بما يأتي من الأنبياء والحوادث ، وقد كان في جميع ما أخبر به صادقا ، لم يخالف الواقع في شيء منها. ولا شك في أن هذا من الإخبار بالغيب ، ولا سبيل إليه غير طريق الوحي والنبوة.

فمن الآيات التي أنبأت عن الغيب قوله تعالى : « وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُجِزَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ٨ : ٧ » . وهذه الآية نزلت في وقعة بدر ، وقد وعد الله فيها المؤمنين بالنصر على عدوهم ويقطع دابر الكافرين ، والمؤمنون على ما هم عليه من قلة العدد والعدة ، حتى أن الفارس فيهم كان هو المقداد ، أو هو والزبير بن العوام والكافرون هم الكثيرون الشديدون في القوة ، وقد وصفتهم الآية بأنهم ذوا شوكة ، وأن المؤمنين أشفقوا من قتالهم ، ولكن الله يريد أن يحق الحق بكلماته. وقد وفى للمؤمنين بوعده ، ونصرهم على أعدائهم ، وقطع دابر الكافرين.

ومنها قوله تعالى : « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ١٥ : ٩٤ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ : ٩٥ . الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ : ٩٦ » .

فإن هذه الآية الكريمة نزلت بمكة في بدء الدعوة الإسلامية ، وقد أخرج البزار والطبراني في سبب نزولها عن أنس بن مالك : أنها نزلت عند مرور النبي على أناس بمكة ، فجعلوا يغمزون في قفاه ، ويقولون : هذا الذي يزعم أنه نبي ومعه جبرائيل. (^٢) فأخبرت الآية عن ظهور دعوة النبي ، ونصرة الله له ، وخذلانه للمشركين الذين ناوأوه واستهزأوا بنبوته ، واستخفوا بأمره. وكان هذا الإخبار في زمان لم يخطر فيه على بال أحد من الناس انحطاط شوكة قريش ، وانكسار سلطانهم ، وظهور النبي عليهم. ونظير هذه الآية قوله تعالى : « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ٦١ : ٩ »

ومن هذه الإنبياء قوله تعالى : « غُلِبَتِ الرُّومُ ٣٠ : ٢ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ : ٣ » .

وقد وقع ما أخبرت به الآية بأقل من عشر سنين ، فغلب ملك الروم ، ودخل جيشه مملكة الفرس.

^١ التمهيد في علوم القرآن : العلامة محمد هادي معرفة، ١٨٥/٦.

^٢ ينظر: لباب النقول: جلال الدين السيوطي ص ١٣٣.

ومنها قوله تعالى : « أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ٥٤ : ٤٤ . سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ : ٤٥ » .

فأخبر عن انهزام جمع الكفار وتفرقهم وقمع شوكتهم ، وقد وقع هذا في يوم بدر أيضا حين ضرب أبو جهل فرسه ، وتقدم نحو الصف الأول قاتلا : نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فأباده الله وجمعه ، وأثار الحق ورفع مناره ، وأعلى كلمته ، فانهزم الكافرون ، وظفر المسلمون عليهم حينما لم يكن يتوهم أحد بأن ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا - ليس لهم عدة ، ولا يصحبون غير فرس أو فرسين ، وسبعين بعيرا يتعاقبون عليها - يظفرون بجمع كبير تام العدة وافر العدد ، وكيف يستفحل أمر أولئك النفر القليل على هذا العدد الكثير ، حتى تذهب شوكته كرماد اشتدت به الريح ، لولا أمر الله وإحكام النبوة وصدق النيات؟! .

ومنها قوله تعالى : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ... سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ١١١ : ٢ » . وقد تضمنت هذه السورة نبأ دخول أبي لهب ، ودخول زوجته النار . ومعنى ذلك هو الإخبار عن عدم تشرفهما بقبول الإسلام إلى آخر حياتهما ، وقد وقع ذلك (٣) .

ويمكن أن نقسم هذا الموضوع إلى ثلاثة أقسام :

أولا : غيب الماضي :

وهو ما تضمن من إخباره عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها ، وقد اندثرت ، ولم يبق لها أثر ، ومن ذلك قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام ، وهم مما لا يمكن لبشر أن يعلمه إلا أن يكون نبيا أو يكون ممن تلقاه عن نبي كما حصل لائمة أهل البيت عليهم السلام . وهذا نوعان :

١- ما كان يسأله عنه المشركون وأهل الكتاب لينظروا هل هو نبي أم لا وكان قومه يرسلون إلى أهل الكتاب البعيدين عنهم من كان بالمدينة وغيرها يطلبون منهم ما يسألونه عنه فيرسلون إليهم ليسألوه عن ذلك ويمتحنون بذلك هل هو نبي أم لا .

٢- ما كان يخبره الله تعالى به ابتداء ويجعله علما وآية لنبوته وبرهانا لرسالته . أساليب القرآن في الاستشهاد بغيب الماضي

● تعقيب الله على اقتراح الصالحين في قصة كفالة مريم : {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمَنَّهُمْ آيُهُمْ يُكْفَلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ} آل عمران ٤٤

● تعقبه على قصة نوح والطوفان بقوله: {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} هود ٤٩

● تعقبه على مؤامرات إخوة يوسف بأخيهم يوسف بقوله: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ} يوسف ١٠٢

أهداف غيب الماضي:

- تثبيت فؤاد النبي وطمأنته وتسليته
- تربية الأمة وتهذيبها من خلال العبر والعظات
- اكتساب المعرفة الصحيحة بأحد الأساليب الأدبية المحبوبة والمؤثرة،
- إبراز وجه من أوجه الإعجاز البياني للقرآن

أسباب اعتماد القرآن الكريم كشاهد تاريخي

١ - كونه آخر الكتب المعتمدة لمعرفة الأخبار الصحيحة .

٣ البيان في تفسير القرآن : للسيد الخوئي (قدس): ٦٧ . ٧٠ .

٢ - كون الله تكفل بحفظه خلافاً للكتب الأخرى.

٣ - كون أخباره جاءت موافقة لما توصل إليه الباحثون في التاريخ

٤ . المقارنات التي تمت بين الكتب المقدسة جاءت لصالح القرآن

ثانياً: غياب الحاضر:

ويقصد به الأمور الموجودة في الواقع وهو ما لا يمكن لأحد معرفته إلا أن يطلع الله عليه وهو إخبار القرآن الكريم عن ضمائر بعض الناس وكشف ما كان مستكناً في صدورهم من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل ولعل أبرز ما يمكن أن نمثل به في تمزيق الإخبار القرآنية لحاجز الزمان الحاضر ما كان متعلقاً بأمر من أدق الأمور وهو حديث النفس، فقد تحدى القرآن المشركين والمنافقين وكأنه يقول لهم: سأخبركم بما في أنفسكم وبما في داخل صدوركم، وكان يكفي لكي يكذب هؤلاء محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقولوا إن أنفسهم لم تحدثهم بذلك، لكنهم أذعنوا للتحدي الذي بهرهم، وبهتوا من أن القرآن مزق حجاب نفوسهم فلم يستطيعوا رداً على مثل الآيات التالية:

١- (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يُعَادُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنسُونَ الْمَصِيرَ (٨) المجادلة:٨، فهنا فضح القرآن الكريم ما يدور في أنفس غير المؤمنين. وهل هناك أكثر من هذا تحدياً لحجاب المكان، إنه تحدي فوق اختراعات البشرية التي بلغ إليها العلم الحديث الآن باختراق حجب المكان والزمان الحاضر. (وذلك أن اليهود كانوا يأتون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقولون: سام عليكم، والسام الموت، وهم يوهمون أنه السلام عليك، وهكذا كانوا يحيون سائر المسلمين. وكانوا يزعمون أن لو كان نبياً لم يكذب يخفى عليه ذلك، ومن ثم سوف لا يعذبهم الله على صنيعهم هذا، فافتضحهم الله بنزول الآية، وحتم عليهم العذاب وبئس المصير)(٤).

٢- ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: (وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) المجادلة:١٤، (يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ (ال عمران:١٥٤، (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا أَخْرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (التوبة:٤٢).

إذا فالقرآن الكريم قد أخرج ما في نفوس الكفار والمنافقين وفضح ما في صدورهم من كذب ونفاق ورياء، لقد أهانهم أمام المجتمع كله وتحداهم بكلام لا يمكن أن يكون من عند غير الله ولو كان ذلك غير صحيح لقالوا: إن ما جاء به القرآن في حقنا غير صحيح، فنحن صادقون ولسنا كاذبين، ولكن القوم بهتوا من أن القرآن مزق حجب نفوسهم فلم يستطيعوا رداً أو دفعاً لما تحداهم به القرآن الكريم، ولم يفعلوا شيئاً أكثر من أنهم تواروا بعدما اكتشفت حقيقتهم وافتضحت سرائرهم. فهل هناك إعجاز أكثر من هذا وأكثر دلالة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ومما جاء بشأن اليهود قوله تعالى: ((يَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِينَاهُ هَذَا فَخُدُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَأَحْذَرُوا وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا جِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَصْرِفُوا شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ { ٤٢ } وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ { ٤٣ } سورة المائدة آية ٤١-٤٣ .

روى الطبرسي عن الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) وجماعة من المفسرين أن هذه الآيات نزلت بشأن امرأة من خبيبر ذات شرف بينهم زنت مع رجل من أشرفهم وهما محصنان فكرها رجمها. فأرسلوا إلى يهود المدينة أن يسألوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ذلك طمعا في أن يأتي لهم برخصة. فانطلق قوم منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد وشعبة بن عمرو ومالك بن الصيف

وكنانة وغيرهم , فقالوا : يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدهما ؟ فقال : هل ترضون بقضائي في ذلك؟ قالوا : نعم . فنزل جبرائيل بالرحم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به^(٥).

ثالثا : غيب المستقبل:

وهو إخبار عن حوادث ستقع في مستقبل قريب أو بعيد , ولا سيما منها كانت دلائل على صدق النبوة, وإما البعيدة منها فهي ما ينتظر دورها والزمن كفيل بإظهار ذلك للأجيال الأمر الذي لا يمكن البت بوقوعه فيما يأتي لسوى علام الغيوب . من ذلك التحدي بالقرآن بالنسبة الى أجيال قادمة , مما يجعل القطع في مثله دليلا على تداوم الإعجاز من ناحية التحدي عبر الأيام^(٦).

كما مزق حاجز الزمن الماضي مزق القرآن الكريم أيضاً حجاب المستقبل، والآيات كثيرة في هذا النوع سنكتفي بنموذجين من هذه الأخبار الغيبية المستقبلية :

١ - إخباره عن الحرب التي سوف تقع بين الروم والفرس، وسوف تكون الغلبة فيها للروم بعد انهزامهم. يقول تعالى: (غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بضعِ سنينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) سورة الروم : ٢-٥

(كانت المعارك دامية بين الروم والفرس أيام الملك (خسرو أبرويز) فكانت الحروب مستمرة من سنة ٦٠٣م الى سنة ٦٢٧م وكانت الكفة راجحة لإيران في أول الأمر حتى عام ٦٢٢م , وبعده انقلب الامر ودارت الدائرة على ايران , وكانت الغلبة لبيزانس حيث الغلبة حالفت هرقل ملك الروم حتى نهاية أمر خسرو أبرويز عام ٦٢٨م ... والآية نزلت بمكة حيث كانت الغلبة للفرس على الروم حتى عام ٦٢٢م وهو عام الهجرة الى المدينة , فكانت الهجرة مقارنة لغلبة الروم على الفرس , تمهيدا للفتوحات التي كانت تنتظر المسلمين تجاه قوى الفرس المنحلة بعد تلك الحروب الدامية , وقد شلت قواهم تجاه تلك المعارك المضنية^(٧)).

لقد قامت الحرب بين دولتي الروم والفرس فهزم الروم وانتصر الفرس وكانت الروم أمة مؤمنة تؤمن بوجود الله ولو أنهم لم يصدقوا برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أما الفرس فكانوا أهل كفر وإلحاد لا يؤمنون بأي دين، لذلك كان الروم أقرب إلى قلوب المؤمنين باعتبارهم أهل كتاب، وكان المشركون يحيون أن يغلب أهل فارس لأنهم أهل الأوثان لذلك جاءت آيات الروم متضمنة للبشارات والبراهين المعجزة التالية :

أ - أن الروم سينتصرون على الفرس في مدة أقل من تسع سنين وهو ما حدث كما تنبأ به القرآن.

ب - أن المعركة بين الروم والفرس ستقع لا محالة، وهذا في حد ذاته إعجاز غيبي، لأنه ماذا كان يمكن أن يحدث لو لم تحدث المعركة أكان بعد ذلك يصدق أي إنسان القرآن أو يؤمن بالدين الجديد؟

ج - تنبأ القرآن بأن المسلمين سوف يفرحون بنصر عزيز في نفس الوقت الذي ينتصر فيه الروم على الفرس، وهذا بالرغم من قلة عدد المسلمين في مكة، وكان يوم انتصار المسلمين المبشر به هو يوم بدر.

٢ - التنبؤ بانهزام المشركين في وقت لا مجال فيه لفكرة الحرب قال تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ (٤٦) القمر: ٤٣ - ٤٦ ، فقد نزلت سورة القمر في مكة والمسلمون قلة وأدلة حتى أن بعضهم قال: أي جمع هذا الذي سيهزم ونحن لا نستطيع أن نحمي أنفسنا، فبينما القرآن بأن الإسلام سينتصر في مكة على الجمع الذين تجمعوا لمحاربتة وهو ما وقع فعلاً لأن الله تعالى الذي أنزل الآية وفيها تحدٍ وإعجاز غيبي هو القادر على تحقيق ذلك.

^٥ مجمع البيان : ٣ / ١٩٣ .

^٦ التمهيد في علوم القرآن : ٦ / ١٩٦ .

^٧ المصدر نفسه : ٦ / ٢٠٥ . ٢٠٦ .

ولا يوجد أحد يماثل سيد الأنبياء محمد (صلى الله عليه وآله)، وكل علمٍ عَلِمَهُ النبي عَلِمَهُ أمة الهدى لأنهم شركائه في الخصائص والميزات صلى الله عليهم أجمعين.

هذا نهج البلاغة بين أيدينا تفضل إقرأ و اطَّلِع عليه، وانظر حديث الإمام علي (سلام الله عليه) عن الغيب انظر إخباره بالملاحم، الله يُنظِرُ مثواه الشريف الرضي - رحمه الله - لَمَّا ذَكَرَ الكلمات التي قالها الإمام علي عليه السلام في وصف الحجاج، في الإخبار عن الحجاج الثقفي والتي بداية الكلمات: (وَلَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طَوَّيْتُ عَنْكُمْ غَيْبَهُ إِذَا لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ ... إلى أن يقول ...أما والله لَيْسَلْتُنَّ عَلَيْكُمْ غَلَامٌ ثَقِيفٌ الذِّيَالُ الْمَيْالُ يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ ثُمَّ قَالَ إِيَّاهُ أَبَا وَدْحَةَ.) يُعَلِّقُ الشريف الرضي - رحمه الله(١) - بعد نقله لهذه الكلمات، يقول: أن الودحة عبارة عن الخنفساء وقد قصد أبا الحسن بذلك الحجاج الثقفي يقول لماذا قال عنه (إِيَّاهُ أَبَا وَدْحَةَ) لأن الحجاج كانت سبب نهايته خنفساء، كيف؟ يوم من الأيام كان جالس بالمحراب يريد أن يصلي رأى خنفساء مَدَّ اصبعه حاول أن يبعدها فلسعته هذه الخنفساء، لدغته، وعندما لدغته ورم وعلى هذا الأساس حَلَّتْ نهايته، بعد أن جعله الله عبرة لمن يعتبر، نعم الله متصرِّفٌ في شؤون خلقه، يسلط على أكبر خلقه أصغر خلقه، الشاهد الإمام علي سلام الله عليه ما فات عن الحجاج حتى هذا الأمر البسيط وإذا هو يخبر عنه.

الإمام علي (عليه السلام) أخبر عن نقل الحجر الأسود إلى مسجد الكوفة ويذكر الشيخ المجلسي أعلى الله مقامه في بحار الأنوار يقول: عندما الإمام علي (عليه السلام) أخبر عن نقل الحجر، قال: على هذا المكان يُوضَع، يعني أشار على الجهة من المسجد التي يوضع عليها، ولما نُقِلَ الحجر بأيام القرامطة إلى مسجد الكوفة وإذا به يوضع في نفس الجهة التي أشار لها الإمام علي سلام الله عليه، وكَم من إخبارهم بالغيب، الإمام علي (عليه السلام) على منبر العراق يصيح: (لن تنقضي الليالي والأيام حتى يسمع ويرى من في المشرق من في المغرب ويتعامل الناس بالغبية)، شاهد أن مثل هذه القضايا تستطيع أن تقول أنها بديهية والذي يحاول أن ينكرها كأنما ينكر بديهيات لا سبيل إلى إنكارها، أنظر إلى الإمام الحسين (عليه السلام) وهو يخبر عن نهايته المرتقبة، يخبر عن مصرعه، اسمعه وهو في مكة يخطب الناس يقول: (كأنني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكرشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خُطِّتْ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت متى صدرت هذه الخطبة؟ متى ألقى الحسين (عليه السلام) هذه الخطبة؟ عندما عزم على الشخص من أرض مكة. ومتى عزم على الشخص من أرض مكة؟ لما عرف أن يزيد بن معاوية أرسل أناس فتاكين يريدون قتله وإن كان متعلقاً بأستار الكعبة هكذا أرادوا، يزيد يقول لعمر بن سعيد المعروف بالأشدق: اقتلوا الحسين سرا، فإن لم تتمكنوا من قتله سرا فقتلوه جهرا. قال له تعرف مكة هذه بلد آمن فيها حرم الله قد نلقاه يصلي في المقام أو قاعد في الحجر أو يستلم الحجر قال اقتلوا حسيناً حيثما وجدتموه وإن كان متعلقاً بأستار الكعبة فإنه لا حرمة له في الإسلام. لا حول ولا قوة إلا بالله هذا الحسين (عليه السلام) سبط رسول الله وسيد شباب أهل الجنة ليس له حرمة في الإسلام .

^١ ينظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج: ٧.